2019

إسلام موسى (عطاالله)
Islam Mousa (Atalla)
باحث في مركز التخطيط الفلسطيني– وحدة أبحاث الأمن القومي
المركز الفرنسي لبحوث وتحليل السياسات الدولية
Centre français de recherche et d'analyse des politiques internationales
https://cfrp24.com/

معيقات التغلب على تجنيد المتعاطفين مع الإرهاب

30/7/2019

إسلام موسى (عطاالله)

Islam Mousa (Atalla)

بالرغم من الاتفاق الحاصل بشأن وطأة التحدي الذي يتعرض له الأمن كمعطي مجتمعي الهدف والدلالة، جراء ظاهرة الجماعات السلفية المقاتلة التي ما زالت قائمة حتى بعد هزيمتها في مناطق مختلفة.

إلا أن التطلعات والمطالب الأمنية وغيرها ما زالت محدودة في فهم محتوي تلك الظاهرة، التي تتغير بعد كل سقوط لها، وتأخذ ظاهرة التخفي تمهيدًا لعودة مختلفة، لا سيما الخلايا النائمة والذئاب المنفردة.

وهي بذلك تفرض محتوى جديد لذلك التحدي الأمني، الذي لا يزال عند حدوده التقليدية البدائية، ولم يطرأ عليه تجيد أو تفعيل لمدركات جديدة للأمن بشكله التشاركي مع كافة أطياف المجتمع للتصدي لتلك الظاهرة؛ فالمطلوب، هو تكيف فكري ومفاهيمي يتناسب مع التغير الذي يطرأ على شكل العدو والتحدي الجديد الذي يمثله.

إذ يفترض أن العبر والدروس المستفادة من سقوط تنظيم الجهاد في مصر، وتنظيم القاعدة، والدولة الإسلامية وغيرها من التنظيمات، هي بمثابة تعلم تراكمي وجديد في ضوء صعوبة تمييز العدو والتحدي الذي يمثله، لا سيما وأن التحدي القادم يدور عن الأفراد المتعاطفين القابلين للتجنيد في ظل عوامل وظروف ما زالت قائمة وتسمح بذلك.

فهؤلاء عبارة عن مخزون من القوى البشرية في أوساط المجتمع المستكين، لا يمكن تشخيصهم إلا في حال أقدموا على تصرفات غير مألوفة وخطيرة. إما من خلال تشكيلهم لخلايا نائمة، أو تصرفهم كذئاب بشرية منفردة.

ولا يزال هؤلاء بعد تشرذم التنظيمات المركزية يولدن شعور سائد بأن المخاطر قائمة، حتى وإن لم تسجل عمليات إرهابية كبيرة في الفترات الأخيرة، فاستنادا إلى الذاكرة القصيرة نجد أن العمليات المنفردة تتكرر في كثير من الدول.

محفزات تجنيد المتعاطفين

تسمح المعالجات السلبية للدين الإسلامي، في خلق بيئية خصبة للتطرف، وذلك في حال تم نقاش أي ظاهرة دينية في أي منبر مناقشات سطحية بعيدًا عن ثقافة التسامح الواسعة التي كفلها الدين الإسلامي.

كما ويعتبر ضعف الحماية العالمية لشبكة الإنترنت والاتصالات الحديثة ومنصات التواصل الاجتماعي من ترويجات الإرهابيين، فرصة كبيرة في التأثير على عقول بعض المتعاطفين. وعلى الرغم من التحذيرات الكثيرة المتواصلة لسد هذه الثغرة، لم تستجب الشركات الراعية لهذه المواقع إلا متأخراً وليس بشكل كامل. وهو ما دفع الجمعية الوطنية الفرنسية، في يوم 06 يوليو 2019، لرفع مشروع قانون يلزم مواقع التواصل الاجتماعي الكبرى مثل فيسبوك وتويتر، بإزالة المحتوى الذي يتضمن خطاب كراهية خلال 24ساعة.

وهناك مستوى آخر للمعالجات السلبية لظاهرة الإرهاب على مستوى بعض الأعمال الدرامية، التي تناولت الظاهرة بصورة سطحية، فحسب أحمد محمد الشحي مدير عام مؤسسة رأس الخيمة للقرآن الكريم وعلومه: "أن بعض الأعمال أظهرت الزعيم الداعشي على أنه نموذج فريد في الوفاء لزوجته، حتى وجدنا من يمتدحه بسبب ذلك، ويطالب الأزواج بأن يحذوا حذوه!!، وأعمال أخرى اعتبرها كثير من النقاد بمثابة جهاز إنعاش لتلك الظاهرة، وتجميلاً لصورة سيد قطب!!، مع أن هذه الأعمال مخصصة ضد هذه الفئات، ولكنها احتوت على ثغرات كبيرة وخطيرة، .... فبعض المثقفين اعتبروا ابن لادن، مناضلاً ضد الإمبريالية الأميركية".

فعلى الرغم من أن الأغلبية من المسلمين ترفض تمجيد العنف، التي تتبناه السلفية المقاتلة، إلا أن هذا لا يعني أن التراث الديني الإسلامي لا يحتوي على الكثير من عيان التطرف التراثي التي يتبنها المسلمون غير المقاتلين، وهي نفسها التي يتبنها نفس المقاتلين السلفيين.

ويقول جميل عبد النبي الناشط السياسي الفلسطيني على صفحته على فيس بوك: أن التطرف موجود في عمق تراثنا الديني، ولا يمكن أن نتجاهل هذه الحقيقة التي ستواصل فعلها داخل جسدنا، بينما نحن قد اتخذنا قرارا بعدم الالتفات إلى الداخل. فمثلا أنظر الى رواية "من بدل دينه فاقتلوه"، وبرغم أنها تصطدم مع أكثر من مئة آية قرآنية تقرر صراحة مبدأ حرية اختيار الدين، إلا أن معظم شيوخ الاعتدال..! يرفضون إعلان هذا التناقض صراحة، خشية اتهامهم برفض السنة. مثل هذه الآية:{ إن الذين آمنوا ثم كفروا ثم آمنوا ثم كفروا ثم ازدادوا كفرا....} التي لم يترتب عليهم أي عقاب دنيوي، ومثلها آيات كثيرة، لكنهم يستهينون بتجاهل وضوح القرآن قطعي الثبوت، لصالح روايات ظنية الثبوت. الواقع أن عينات التطرف واضحة في التراث، إذ لا يزال معظم شيوخ الاعتدال يتحدثون عن وهم الخلافة الإسلامية، التي لا تعترف بأتباع الديانات الأخرى كمواطنين كاملي المواطنة، إنما في أحسن الأحوال يعتبروهم جالية، لا يحق لها أن تنافس على الحكم، هذا ناهيك عن أمنيات لا يمتنع بعضهم عن الإفصاح عنها، حول إعادة فتح العالم ولو بقوة السلاح لنشر الإسلام..!". على الرغم من أن آراء المتطرفين تُعبر عن أقلية بين المسلمين، لكن جاذبية خطابات والتي قد تحمل في طياتها شبهات الكراهية تعتبر مرآة لبعض المواقف والأيديولوجيات الخاصة بالمسلمين. ولا يقصد هنا مساوة الإسلام بالإرهاب، بل الاعتراف بأن أولئك الذين ينخرطون في الحراك الجهادي، يأتون من مجتمعات تنتشر فيها خطابات معينة.

كل ذلك هو بمثابة تجهيز أولي للمخيال السياسي للأفراد المتعاطفين مع التنظيمات الجهادية؛ لا سيما إذا ما توجهه في النهاية إلى الاستماع إلى بعض من أولئك الدعاة الذين يتناولون الظاهرة الدينية خاصة في منابر المساجد من باب التوظيف لتحقيق أهداف خاصة حزبية. كما ويحصروا هؤلاء أو غيرهم من المختصين الدينين، التطرف في بعض المستويات المتشددة جداً فقط، كمن يحصر الإرهاب في "داعش"، ويستثني منه بقية التنظيمات الإرهابية، كالقاعدة وبعض خلايا الإخوان السرية ..... الخ.

وفي ذلك السياق يؤخذ على "التحالف الدولي ضد داعش" بقيادة الولايات المتحدة والتي يفترض أنها وضعت استراتيجية شاملة لمواجهة هذا الخطر، وإضعافه عن طريق عدة اتجاهات، منها محاولة هزيمته التنظيم من الناحية الأيديولوجية وكفكرة من الأساس حتى لا ينشأ من جديد؛ أنها لم تراعي التدابير الوقائية الاجتماعية المحلية، وهي التي كانت غائبة تقريباً في تلك الاستراتيجية لصالح التدابير الأمنية والعسكرية الكبيرة، لا سيما وأن قوة المجتمعات المحلية الأكثر وعيا هي الأكثر إفادة في مواجهة الإرهاب؛ لذا كان لزاما عليها تعزيز فكرة التشاركية بين كافة مستويات الدولة والمجتمع، من خلا دعم المؤسسات التعليمية والثقافية الحكومية والغير حكومية وخاصة في المناطق المهمشة والشعبية، وتعزيز الرقابة على المساجد، وتحفيز فكرة مواجهة حقيقة التطرف، والتي يقول فيها عبد النبي: " أنه من المهم ونحن نسعى لمقاومة ظاهرة التطرف ألا نتجاهل حقيقة وجود مؤمنين مستلبون بقوة في انتمائهم لايدلوجيا التطرف، وأننا نفضل عدم الاقتراب من جذور الايدلوجيا، ربما خشية الاتهام بعداء الدين، والتي ستطال كل المحاولات العميقة لتفكيك التطرف، لأنها ستمس حقيقة بقواعد لا يتمسك بها المتطرفون وحدهم، أو بالأصح، المتهمون بالتطرف

وحدهم، إنما جهات أخرى تزعم الاعتدال، إلا أنها تقف مع المتطرفين على ذات الأرضية، وتقاسمهم ذات الأدوات، مع شيء من الانضباط الجزئي الذي لا يقاوم جذر المشكلة، إنما يكتفي بالاعتراض على نتاجاتها عند المتطرفين".

تلك هي المؤثرات والتي بمثابة الأدوات التي تخلق مخيالاً سياسياً لهؤلاء المتعاطفين، وتمهد الأرضية لعمليات الاستقطاب والتجنيد، وهي بمثابة الأرضيات المناسبة لخلق خلايا نائمة أو ذئاب منفردة؛ وذلك من خلال ما يتم تصويره وما يُتخيل جماعيا وليس ما يٌعاش.

فبدايات الشعور بالأمان من التطرف، لا يأخذ قيمته الحقيقية إلا بانتفاء المسببات المستديمة التي تتغلغل الى أفكار أولئك المتعاطفين، وتخلق مؤثرات تسمح بإنتاج رؤية خاصة عن العالم والحكم الاستبدادي الغير إسلامي، والانظمة السياسية القائمة والتي تربطها معاهدات معهم ولا تنفذ تعاليم الدين الإسلامي ووقعت بفخ الجاهلية، ووجود تكيف ديني بالرد بقوة على كل أشكال الموبقات.